« الأسلوب القرآنى فى التربية »

بقلم الدكتور

صالح موسى شرف

القرآن الكريم كتاب البشرية الخالد ، نزل بلسان عربى مبين ، ليكون المعجزة الكبرى للإنسانية ، وكان نزوله بلغة أوسط القبائل وهى لغة قريش وتحدى الله به العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا ، وأفرغ هذا فى قوالب مختلفة من اللفظ والأسلوب ، وأنهضهم إلى ذلك بالتقريع تارة والإثارة تارة أخرى وأحيانا أخرى بكل أشكال التحدى .

يقول الحق تبارك وتعالى : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين » وقال مرة أخرى « قل لئن إجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » وقال فى موضع آخر : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وإدعوا من إستطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » .

ويقول القرآن الكريم مخاطباً الكافرين ، ومؤنباً لهم على سوء صنيعهم : « أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » .

وعلى الرغم من اسلوب التحدى الذى حاور به القرآن الكريم المجادلين بالباطل رغم كل هذا لم يفعلوا شيئاً ، ولم يستجيبوا لتحدى القرآن فى محاولة ما فثبت عجزهم ولزمتهم الحجة إلى يوم الدين .

وهكذا كان القرآن الكريم ، وسيظل مصدر إعجاز للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد كان لنزول القرآن الكريم أثره العميق فى البيئة العربية ، وكان فى كل ماصدر عنه من عقيدة وأخلاق ، وتشريع وعظات من أجل بناء المجتمع الإسلامى على أساس من المبادىء الالهية ، وذلك ليتم تحقيق الهدف من خلافة الانسان فى الأرض .

ويمكن توضيح المنهج التربوى للقرآن الكريم - وذلك على سبيل المثال لا الحصر - فيما يأتى : -

أولا : من ناحية وحدة العقيدة : -

إن وحدانية الله - جل جلاله - وهيمنته على العالم ، وملكيته التامة لهذا الكون بما فيه ومن فيه لا يشاركه فى ذلك أحد من خلقه دون تمييز بين رقعة وأخرى منه ، ودون تمييز لطائفة على حساب الأخرى ، ودون تخصيص فئة معينة بالخطاب ، الحمد لله رب العالمين ، وقال ، فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين ، وقال أيضاً ، إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ، .

وأوضح القرآن أن بعثة الرسول ﷺ إلى البشر كلهم فى كل بقاع الأرض وفى كل الأزمنة وعلى توالى العصور ، دون نظرة خاصة فى ذلك إلى الذين بعث من بينهم ، أو إلى البيئة التى ظهر فيها ، فقال : قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً ، وقال ، تبارك الذى انزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، وقال ، وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ، .

ولقد لفت أنظار الناس إلى أدلة وجود الله ووحدانيته ، فلم يقم أى دليل يخص بيئة معينة أو يوجد لدى قوم بخصوصهم ، أو تفهمه طبقة دون سواها وإنما عرض من ذلك مانفهمه ويألفه كل إنسان فى كل زمان ومكان .

والآيات القرآنية التى تدل على وحدانية الله أكثر من أن يحصيها العد ، منها قوله تعالى ، لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، وقوله ، قل هو الله أحد . الله الصمد لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد ، .

ثانياً : التشريع من أجل حماية المجتمع : -

لقد جاء القرآن الكريم ليحطم العصبية القبلية ، وليقضى على العنصرية البغيضة ، وعلى ذلك المجتمع الجاهلى . . . .

فالتشريع القرآنى لانجد فيه أى منزع إلى عرق أو طائفة أو جماعة ، فاستبدل التقوى والعمل الصالح بالتفاخر بالإحساب والإنساب : « ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » « ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ،واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » .

فالتشريع يهدف — أول مايهدف — إلى المصلحة العامة المرتبطة بالمجتمع الإسلامى ، والتى تفيض بالأحكام المتعلقة بتنظيم الاسرة ، وحقوق المرأة ونظام الحكم ، وتقويم العدالة ، وضبط حقيقتها ، دون التفات إلى الظروف المتنوعة والمختلفة للبيئات والجماعات على إختلاف أجناسها وألوانها .

ثالثاً : الناحية الإجتماعية : -

أراد الله أن يحفظ لهذه الأمة اعتدالها وتوازنها ، وأن يجعلها خير أمة أخرجت للناس ، ووسطا فى عقائدها وأخلاقها وعباداتها ومعاملاتها .

قال الله تعالى « ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين » ويقول « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » .

رابعاً : الناحية النفسية : -

ويكاد القرآن الكريم يخاطب كل نفس على حده متناولا بنظرته الشاملة أسرارها كلها وخفاياها . فعلى سبيل المثال — لقد حمل القرآن الكريم فى آية واحدة الصحابة حملا ثقيلا لاطاقة لهم به وهو : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم

أو تخفوه يحاسبكم به الله ، فعجبوا كيف يحاسبهم الله على ماهمت به أنفسهم ولم يفعلوه ؛ وأتوا رسول الله ﷺ ليقولوا له : قد أنزل الله عليك هذه الآية ونحن لا نطيقها . فنزل قوله تعالى « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ماكتسبت وعليها ما اكتسبت ».

والله ولى التوفيـــق ؛ ؛ ؛ ؛

صالح موسى شرف